* * *

في عمان .. كان الدكتور عبد الله عزام رحمه الله يكمل مع مطلع الثمانينات آخر سابع سنة له مدرساً في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية .. دون أن يدري !

كان الشيخ عبد الله و قتذاك يختزن كمّاً متراكماً من الأشجان والانفعالات والحسرات تمور بين جنبيه كالبركان .. فتجربة السنتين الذهبيتين اللتين أمضاهما – رحمه الله – مع مجموعات الإخوان المسلمين التي استظلت وقتذاك بمنظمة التحرير الفلسطينية وجاهدت اليهود متخفية باسمها .. لم يكن لينساها .. « كانت تجربة عذبة جداً بالنسبة لنا وتجربة مريرة بالنسبة للواقع المر الذي اكتشفناه لحال المسلمين » لماذا ؟ يضيف د .عبد الله فيقول [٤] : « لأ ننا لم نستطع أن نجمع كتيبة واحدة من أبناء الحركة الإسلامية أو من أبناء المسلمين .. فكانت التجربة حزينة ومرثاة أليمة .. » فالدكتور عبد الله ابن « سيلة الحارثية » من قضاء « جنين » بفلسطين المحتلة اعتصر الهم فؤاده وقد شهد أيام طفولته المبكرة التواطؤ السافر بين اليهود المحتلين وأربابهم الانجليز والأوربيين من جهة .. وبين الحكام المتسلطين في المنطقة المتواطئين على الخيانة والتسليم .. وازداد لوعة وأسى يوم تلقت جماعة الإخوان المسلمين « جزاء سنمار » على جهادهم الذي خاضوه في فلسطين عام ١٩٤٨ .. فقُتل مرشدهم .. وطوقت كتائبهم .. ونُزع السلا ح من أيديهم بأيدي المصريين لا بأيدي اليهود ! ثم اقتيدوا إلى المعتقلات والسجون .. وعندما تبدت ملامح فرصة جديدة للمشاركة في مجاهدة اليهود انخرط د . عبدالله عزام مع مجموعات الإخوان الأردنيين ومن شاركهم من السوريين ومن السودانيين في ظرف أبعد ما يكون عن التناسب المطلوب . يقول رحمه الله : « كانت الحركة الإسلامية ظانة أن بامكانها أن تحرك مشاعر العالم الإسلامي باسم فلسطين وباسم المسجد الأقصى ، على الأ قل أن تحرك مشاعر أبنائها الذين ربتهم ، لكن الحركة الإسلامية كانت مصادرة فى السجون ، وليس هناك إلا بداية حركة في الأردن فما استطاعت أن تواكب مسيرة القتال ، ولا مسيرة التيارات التي تتاجر بفلسطين ، لتأخرها وقد سبقها الناس ، ولقلة الأ عداد التي قدمتها ..» ويضيف د . عبد الله : « لقد تأخرت الحركة الإسلامية في الدخول ، فبعد أن أمطرت السماء ومضت السيول جاء جدول نظيف بسيط هو جدول الحركة الإسلامية ..» وبانتهاء التجربة ، ومع فاجعة عمان في إيلول ١٩٧٠ « كانت التجربة حزينة ومرثاة أليمة .. لكننا كنا نعيش محلّقين في السماء ، نعيش أفقاً عاليا من ناحية استعداد هذه المرحلة ، والفضل والنعم التي منّ الله بها علينا ، والصفاء الروحي والإشراق النفسي والروابط التي قامت بيننا نحن الذين اشتركنا في هذه التجربة .. » وخلال سبع سنوات من عام ٧٣ الذي أكمل فيه الشيخ عبد الله دراسة الدكتوراة في مصر وعاد إلى الجامعة الأردنية مدرساً فيها ، وحتى اكتوبر من عام ٨٠ كان رحمه الله ماينفك يطوف بخياله مع ذكريات الجهاد وأيام الكر والفر في الأغوار .. وعلى ثرى أكناف بيت المقدس .. وفي موقعه الذي أحبه ، مدرساً ومربياً لجيل جديد يشب ، شرع د. عبد الله يغذي الطلبة الذين التفوا حوله وأحبوه بالفكر الفذ وبالموقف الجريء .. ومرة بعد مرة صدرت القرارات الرسمية بفصل الدكتور عبدالله من الجامعة ، طاش اثنان منها بقدر الله ولطفه ليتحقق الثالث بقدر الله تعالى ويصيب . يقول رحمه الله : « .. المرة الثالثة في

اكتوبر عام ٨٠ جاءني كتاب مكتوب عليه : سري جداً .. فتحته وإذ به قرار من الحاكم العسكري العام ورئيس الوزراء مضر بدران وقتذاك بفصل الدكتور عبدالله عزام من الجامعة الأردنية .. وسبحان الله الذي فتح لنا هذا الباب فكانت نعمة منه عز وجل .. ونظرت في واقع الأرض وكان الحنين إلى الجهاد يشدني دائماً .. فوجدت أن هناك جهاداً في اليمن بين الحركة الإسلامية وبين الشيوعيين ، وجهاداً في أفغانستان فصممت أن أذهب إلى أحد هذين العرينين ، وتعاقدت مع جامعة الملك عبد العزيز (بجدة) وخدمت فيها فصلاً واحداً ، ولعل الله عز وجل نظر إلى قلوبنا وشوقنا إلى الجهاد فاستجاب لنا .. وسهل لنا الطريق » .

* * *

.. وفي إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية بولاية « كنتاكي » ، وضمن إحدى مواد الثقافة العامة التي أدخلتها كلية العلوم الزراعية على برامجها .. كان أبو الحسن المدني « وائل جليدان » يتابع باهتمام محاضرات مادة « الحضارات الإنسانية » من بروفيسور يهودي .. أراد أن يحول قاعة البحث العلمي منبراً لترويج الفتن الفكرية والضلالات المنهجية .. فانقلب السحر على الساحر .. وارتد السهم المسموم على راميه ! يقول أبو الحسن [٥] : « في صيف عام ٨٠ كان البروفيسور اليهودي (جودون) قد ركز خلال هذا الفصل الدراسي على الحضارة الإسلامية بعد أن استعرض كل الحضارات الانسانية السابقة .. ولأكثر من أسبوع ، وفي محاضرات يومية متصلة كانت تزيد في كل واحدة منها على ساعتين أوثلاث .. مضى البروفيسور يتكلم عن الجهاد الإسلامي محذراً من خطورته .. وأنه أساس دمار كل حضارة إنسانية .. وقال إن بقايا الحضارة الإغريقية في اليونان هُدمت أطلالها باسم الجهاد الإسلامي .. وإن الحضارة الرومانية الثانية سقطت على يد الجهاد السلامي .. وإن الحضارة الفارسية سقطت أيضاً بنفس السبب .. وكذلك انتهت الحضارة الفرعونية ، وفي خاتمة المطاف أكد هذا البروفيسور أن الحضارة الإنسانية التي يتمتع بها الغرب اليوم في القرن العشرين سوف تنتهي وتزول باسم الجهاد الإسلامي .. فشرارة هذا الجهاد التي انطلقت من جديد في أفغانستان كفيلة بأن توقد جذوته في العدد والكم الهائل الموجود في أواسط آسيا من المسلمين ، فإذا تحرك هذا الجهاد فوصل موسكو وأمسك بزمام الحكم هناك ، عندها سوف يعلن عن حرب عالمية ثالثة باسم الجهاد الإسلامي .. وعندها سوف تنتهي هذه الحضارة الإنسانية التي نتمتع بها اليوم في الغرب .. » ! ويضيف أبو الحسن : « عند ذاك عرفت - كشاب مسلم - أن هناك أمل كبير معقود على هذا الجهاد في أفغانستان ، أسمعه على لسان الأعداء قبل الأصدقاء ، ولسان من يتربصون به قبل الذين يدعمونه ، ومنذ ذلك الوقت وأنا أعمل جاهداً للوصول إلى هذه الساحة » .

هوامش

[١] في دراسة لمجلة « المجلة » السعودية - العدد ٥٦٣ - بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢١ اعتبرت أن شركة بن لادن « بمكو » إحدى الشركات العشر المتميزة بين أكبر مئة شركة سعودية ، وذكرت الدراسة أن الشركة أنشئت عام ٧٥ وأصبحت الآن من الشركات الرائدة في مجال المقاولات الكهروميكانيكية والصيانة وكذلك المقاولات الصناعية والإنشائية ، وأضافت أن عائلة بن لادن معروفة في مجال المقاولات